أصدق ما قيل - إن الإنسان صورة الله ومثاله؟

ما ارتفع الإنسان فوق الحيوان ليبقى بعضه حيواناً وبعضه إنساناً، بل ليرقى إلى ما فوق الحيوان والإنسان. وما أوجاعه المميتة، وشكوكه النهّاشة، وأشواقه اللّافحة؛ وما قلقه الممضّ، وحيرته الخنّاقة، وأحلامه المجنّحة إلاّ لأن البهيمة فيه تشدّه إلى أسفل والإله فيه يشدّه إلى أعلى. فهو منقسم على ذاته، وعالمه عالمان لا واحد.

وأيّ دليل للإنسان على أنّه مدعوّ لأن يكون أكثر من حيوان وأكثر من إنسان؟

أما سمعتم ما قيل: «الإنسان قلبه دليله»؟ لعمري إن في ذلك القول لمنتهَى الصدق والحكمة. فمثلما سلّخت الحياة الحيوان بالغريزة يستدلّ بها على مأكله ومشربه ومأواه وأبناء جنسه، سلّحت القلب البشريّ بأشواق يستدلّ بها على أهدافه. ثمّ سلّحته بالفكر والخيال يستعين بهما في الوصول إلى تلك الأهداف. ولا عبرة بما في ذلك القلب من شهوات خسيسة أو نصف خسيسة. فهذه كلّها من بنات الغريزة الحيوانيّة. والعبرة كل العبرة بما في القلب من أشواق بعيدة لا تنتمي إلى الغريزة أو البهيمة بصلة قريبة أو بعيدة. مثال ذلك الشوق إلى الانعتاق من كلّ قيد ومعناه الحرية